أثر السياق النفسي في إنتاج لغة الجسد

"نماذج شعرية مختارة"

إعداد

يسرى بنت حسين الصيدلاني

باحثة دكتوراه - كلية الآداب- قسم اللغة العربية - جامعة الملك عبدالعزيز

جدة – المملكة العربية السعودية

باحث مشارك

أ.د زمزم تقي

أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك عبدالعزيز - كلية الآداب - قسم اللغة العربية

المستخلص:

تنقسم اللغة إلى لغة لفظية وغير لفظية، واللغة غير اللفظية هي محط اهتمام هذا البحث فقد أخذ البحث لغة الجسد محور تطبيق له، إذ يحمل في طيّاته أثر السياق النفسي في إنتاج لغة الجسد متخذًا نماذج مختارة من أبيات الشعر العربي مادة تطبيقية له.
ونشير بأنّ البحث يدرس الأثر النفسي السلبي لإنتاج لغة الجسد، بالمقابل يدرس الأثر النفسي الإيجابي.

و ُحتّم طبيعة البحث أن يتخذ المنهج الوصفي التحليلي منهجًا، جاء البحث في مطلبين يسبقهما تمهيد.

ومما لاشك فيه أن السياق النفسي مهمٌ في إنتاج لغة الجسد سواء أكانت صريحة، أم إيحائية. كما أن في كثيرٍ من الأحيان يتكاتف أكثر من عضو جسدي؛ لإخراج دلالة معينة.
ولكي تكتمل صورة البحث العلمية جاءت الخاتمة بأبرز النتائج ومن أبرز ما توصل إليه البحث:
أن بعض اللغات الجسدية في الأبيات المذكورة؛ نتيجة للسلوكيات الاجتماعية نحو: ضرب المرأة لنحرها، أو وقوفها راضية؛ لإكرام الضيف. وشدة الاتصال بين لغة الجسد والسياق النفسي حقيقة ثابتة لا يمكن إنكارها.

الكلمات الدالة

لغة الجسد – السياق النفسي – الاتصال غير اللفظي – الشعر.

Abstract

Language is divided into verbal language or non-verbal language, and non-verbal language is the focus of this research. The research took body language as the focus of its application, as it carries within it the impact of the psychological context on the production of body language, taking selected examples of verses of Arabic poetry as its applied material.

We point out that the research studies the negative psychological impact of producing body language, in contrast to the positive psychological impact.

The nature of the research necessitates that the descriptive analytical method be taken as an approach. The research came in two requirements preceded by a preface.

There is no doubt that the psychological context is important in producing body language, whether explicit or suggestive. Also, in many cases more than one bodily organ works together; To produce a specific meaning .

In order to complete the scientific picture of the research, the conclusion came with the most prominent results, and among the most prominent findings of the research: that some of the physical languages in the aforementioned verses; As a result of social behaviors such as: hitting a woman to make her slaughter, or her standing there complacent; To honor the guest. The intensity of the connection between body language and psychological context is an established and undeniable fact.

Keywords: Body Language - Psychological context - Non-verbal communication - Poetry.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد

فقد حظيت اللغة العربية بنصيب كبير من الدراسة والبحث؛ لكونها أهم وسيلة من وسائل الاتصال بين البشر، فالتخاطب هو جوهر اللغة ومفتاح المعنى ولا يتم هذا التواصل إلا عبر بنية تركيبية متكاملة من حيث الألفاظ، والجمل والدلالات

واللغة تتبع سياقها، فإن السياق على عاتقه دورٌ بالغ الأهمية؛ للوصول إلى الدلالات.

وتعددت المذاهب والأفكار في دراسة هذه اللغة، فقد خرج من هذه الأفكار نظريات لغوية حديثة تركّز على اللغة بجميع مستوياتها، إضافة إلى ما يجاور اللغة أي: ما يصاحبها من موضوعات ونفسيّات، ومن هذه النظريات نظرية السياق التابعة لفيرث[1]، ومضمونها أن الكلمة لا تكون واضحةً إلا باستخدامها في مواضع مختلفة، ودراسة الجملة أو الكلمة لا تكون إلا من خلال دراسة الموقف أو المقام، فالمفهوم العام لنظرية السياق هو ما دار حول النص، أي تابعه وأثر عليه إما سياق لغوي يتمثل في علاقة التركيب بما يسبقه وما يجاوره، أو سياق غير لغوي يتمثل في البيئة التي تحيط بالنص، أو المواقف والأحداث.

ولغة الجسد لغة غير لفظية تضم ما يدور في الذهن من رموزٍ، وإشاراتٍ خارجية كتعابير الوجه وهيئات الجسم، والكلمات والنبرة الصوتية ودرجة الصوت لها دلالات متعددة.

وإنّ مما ينبغي على منتج اللغة سواء اللفظية أو غير اللفظية أن يتنبه للسياق المناسب للإنتاج، فلا بد أن يكون قادرًا على إيجاد إنتاج لغوي لفظي أو غير لفظي يتناسب مع الموقف، والظروف المحيطة، ويتلاءم معها.

وارتأت الباحثة مما سبق أن تُركّز على نوعٍ من السياق غير اللغوي وهو السياق النفسي، وتُبيّن دوره في فهم لغة الجسد في مختارات شعريّة عربية.

فلم تغِب لغة الجسد عن الشعراء العرب، فقد نظم الشعراء في اللغة الجسدية التي سدّت مسد اللغة اللفظية أبياتًا كُثر.

وتأتي الدراسة في محورين يسبقهما مدخلٌ، فالمدخل يقف على مفهوم السياق النفسي، ومفهوم لغة الجسد.

المحور الأول عنوانه: أثر السياق النفسي السلبي على فَهم لغة الجسد "نماذج تطبيقية"، والمحور الثاني عنوانه: أثر السياق النفسي الإيجابي على فَهم لغة الجسد "نماذج تطبيقية"، وكلٌ منهما يقف على نماذج شعرية مختارة. وجاءت الخاتمة حاملةً أبرز نتائج الدراسة.

ومن أهم أسباب اختيار الموضوع:

- لم تجد الباحثة – بحسب ما بحثت – دراسات تناولت أثر السياق النفسي في إنتاج لغة الجسد، وأغلب الدراسات تناولت أثر السياق النفسي في اللغة اللفظية و رغبة في تقديم دراسة تجمع

---

(1) عالمٌ بريطاني له باع طويل في الدراسات اللسانية، ومؤسس مدرسة فيرث والمقصود بها المدرسة اللندنية ومؤسس أول قسم في بريطانيا يهتم بعلم اللغة. للمزيد ينظر: تومي، غنية، **السياق اللغوي في الدرس الحديث**، (الجزائر، مجلة المخبر، ٢٠١٠م) العدد السادس، ص١

السياق النفسي و لغة الجسد، وما يتحمله الأدبيات العربية من الأبيات المليئة بأبياتٍ تضم لغة الجسد.

أهميـــــــة الدراســـــــة:

- الأهميـــة النظـــريـة: تبرز أهمية الموضوع في توجيه النـــظر إلى السياق النفسي، وما له من أثرٍ في إنتاج لغة الجســد.
- الأهمية التطبيقية: إضافة دراسة تطبيقية لمختارات شعرية أثرّ فيها السياق النفسي؛ لإنتاج لغة الجسد.

الدراسات السابقة:

ثمة دراسات تناولت نظرية السياق بمحوريه اللغوي، وغير اللغوي، أما من ناحية التركيز على السياق النفسي تحديدًا ودوه في إنتاج لغة الجسد فلم تتوصـل الباحثـــة – بحسب ما بحثت- على دراســـة جامعة للطرفين معًا، وإنّ أبرز ماتوصلت إليه الباحثة ويمكن الاستفادة منها هي على النحو الآتي:

١- السياق القرآني وأثره في إنتاج المعنى النفسي دراسة للخطاب النفسي في القرآن الكريم (٢٠١٦م)، **إعداد:** محمد عبد الحمزة الديني، بحث منشور في المجلة الإسلامية، العراق.

يدرس هذا البحث النواحي النفسية للخطاب القرآني، جاءت هذه الدراسة بنماذج قرآنية عن الخطاب النفسي كخطاب الخوف، وخطاب الكراهية، وخطاب الحب.

و تشترك هذه الدراسة مع دراستي في محور الخوف، ولكن محطة التطبيق لبحث الديني كان القرآن الكريم،

٢- العلاقات الدلالية وأثرها في إبراز السياق النفسي في المحاورات القرآنية (٢٠٢٠م)، **إعداد:** عبده محمد غيلان، بحث منشور في مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية.

تناول هذا البحث العلاقات الدلالية وأثرها في إبراز السياق النفسي في المحاورات القرآنية، كما تهدف الدراسة إلى الكشف عن الوظائف النفسية التي يبرزها السياق عبر العلاقات الدلالية بين نصوص المحاورات القرآنية، والكشف عن الدور الذي تضطلع به العلاقات الدلالية في تماسك نصوص المحاورات القرآنية. ولم تشترك هذه الدراسة مع دراستي إلا في محور السياق النفسي فقط.

٣- لغة الجسد في قصائد جمهرة أشعار العرب (٢٠٢٠م)، إعداد: يزن شحادة مبروك، رسالة دكتوراه بجامعة اليرموك في الأردن.

تناولت هذه الدراسة الكنايات الجسدية الموجودة في الديوان، ولغة الجسد عامة في الجمهرة.

وبعد عرض الدراسات السابقة يتضح للباحثة عدم وجود دراسة تحمل العنوان ذاته، فثمة تقاطع ببعض الأبيات إلا أنّها تتغير في طريقة التناول.

المنهج المتبع:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي واتخاذه منهجًا للدراسة.

والورقة البحثية العمل البحثي عملٌ إنساني قد يشوبه النقص، وما هذا إلا جهد المقل.

تمهيد

١- مفهوم السياق النفسي:

مفهوم السياق.

يأخذ مفهوم السياق شقين، الأول منهما تعريفه لغة: السياق مأخوذة من سوق، جاء في لسان العرب "سوق: السوق: ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا، وهو سائق سواق" (ابن منظور:

يحظى السياق باهتمامٍ في الدراسات، خاصة السياق غير اللغوي، ولعلّ أصدق تعبير وصلنا عن السياق غير اللغوي بأنه كالجسر الذي يربط اللغة مع البيئة الخارجية. (عوض:١٤١٠، ٢٩).

ولأهمية السياق غير اللغوي فقد أُطلق عليه مصطلح (السياق الكبير)، وقد يتخذ هذا المصطلح أسلوبيًّا دلالة خاصة تتمثل في جملة المعطيات التي تحضر القارئ، وهو يتلقى النص بموجب مخزونه الثقافي والاجتماعي.

وإننا نقرّ بأن السياق غير اللغوي قد تواجد في تراثنا العربي وبقوة، فعلى سبيل المثال لا الحصر ها هو الجاحظ يصوّر أقدار المستمعين وأقدار المعاني، ويوجه المتكلم إلى معرفة أقدار المعاني ويوازن بين المعنى بحسب حالة المستمع، وهذا يدخل في مراعاة مقتضى الحال. (الجاحظ،١٤٢٣هـ، ٨٨).

وإن تحدثنا عن السياق فلا بد من ذكر الجرجاني فله قضية مراعاة الحال، وأن الكلمة لابد لها من غرض أي وقعت في سياقها الصحيح يقول عن الحذف: "أن يكون امتناع تركه على ظاهره، لأمر يرجع إلى غرض المتكلم" (الجرجاني،١٢٨)

ومراعاة الحال أو المقام أو النفسية تُعطي النصوص دافعًا ليُعبر عنه بالطريقة المناسبة. وقد يكون هذا السبب الذي دعا فيرث لاقتراح الاعتناء بهذه العناصر (بالمر: د.ت، ٧٧):

١- الملامح الوثيقة بالمشتركين، كالأشخاص، والخصائص الذاتية التي تميز الحدث الكلامي، أو غير الكلامي لهؤلاء المشتركين.
٢- الأشياء ذات الصلة بالموضوع.
٣- التأثيرات الخاصة بالحدث الكلامي.

وعرّف أوشان (د.ت، ص٦٠) السياق النفسي بأنه فهم حالة المخاطَب وإعطاء جمل وكلمات تراعي حالته الذهنية والعاطفية، وهذه الحالة مناط اهتمام المتكلم.

أما الباحثة فتُعرفه إجرائيًّا: حالة الشخص الشعورية والتي تؤثر في إنتاجه اللغوي اللفظي، أو غير اللفظي.

٢- مفهوم لغة الجسد:

تحسُن الإشارة لمفهوم لغة الجسد بقولنا: إنّ لغة الجسد هي اللغة غير اللفظية المستخدمة دون استخدام الألفاظ والجمل، فيكون الاتصال هنا متأثرًا بحالات ذهنية ونفسية، لأن اللغة لا يقف عليها التواصل فحسب بل هي أداة للتأثير في بعض الأحيان.

وبشكلٍ عام فهي الإطار الخارجي الشكلي وتضم: لغة الإشارة، ولغة الصورة، وحركة العين أي الاتصال البصري، وتعبيرات الوجه بما فيها تقطيب الحاجبين، والابتسامة بجميع أنواعها، وغض النظر، ويندرج تحت لغة الجســـــد حركة اليد والأرجل، كما تضم المظهر الخارجي اللباس.

ونعد نبرة الصوت من حيث ارتفاعه وانخفاضه من لغة الجسد، فالصوت من المرتكزات الخارجية للشخص يؤدي وظائف داخلية، أو يرسل معاني ضمنية غير مباشرة، ويؤدي الصوت من خلال الارتفاع والانخفاض رسائل محددة يريدها المتكلم، فمثلًا ارتفاع الصوت قد يُفهم بالصراخ الذي يمكن أن يكون إهانة للمتلقي، أو لغرض التذكير أو للالتفات وهكذا، وقد تتكاتف جهارة الصوت مع بطئه لإعطاء لمحة مميزة في إيصال الغرض أو المعنى.

وعن أهميتها فللغة الجسد أهمية بارعة في إظهار المشاعر والانفعالات، وهي الطريقة المثلى للتواصل؛ لأنها تُعبّر عن المعلومات الوجـــــدانية للشخص، وتكشف المعاني الضمنية، واللغة الجسدية كانت وما زالت وسيلة مهمة في التواصل، يقول أبو نواس (٢٠٠٦م، ١٨):

تجمع عيني وعينها لغةٌ مخالفٌ لفظها لمعناها

ومما لاشك فيه أنّ اللغة الجسدية عند الإنسان تتفاوت في أنواعها؛ لأن العاطفة الإنسانية تؤثـــــــــــر على ملامحه الشكلية فيوجد علامة شكلية خاصة بمشاعر الغضب، كما يوجد مشاعر خاصة لعاطفة الحنين، ومشاعر خاصة بالفرح والسخرية وهكذا؛ وذلك يُفسر طبيًّا بانكماش عضلات الوجه أو تمددها أو انقباضها تبعًا للمشاعر الكامنة عند الشخص، فأي شعور يكون محفزًا للآداء العضـــلـــي، وقد أقرّ الفسيولوجيون بقدرة عضلات الوجه على تقديم عشرون ألف تعبيرٍ إلا أنّه يستخدم عددًا قليلًا بما يناسب سياقه. (داروين،٢٠٠٥م، ١٧٩).

وتشير الدراسات العلمية إلى أنّ الإنسان يُكتشف من خلال حركاته الجسدية ووضعياته بنسبة ٥٥%، وأخذت الناحية الصوتية أي: نبرة الصوت نسبة ٣٨%، أما الكلام فالنسبة العامة لكشفه عن المشاعر ٧%. (السعيد، ٢٠١٦م، ٦٨).

المطلب الأول: أثر السياق النفسي السلبي على إنتاج لغة الجسد "نماذج تطبيقية":

يُقدم هذا المطلب دراسة تطبيقية لأثر السياق النفسي السلبي على لغة الجسد، فالنفس تعبر ما بداخلها من مشاعر سلبية باستخدام لغة غير لفظية في بعض الأحيان. والشاعر يُترجم شعوره الداخلي في كثير من الأحيان وإن كان في بعض الأحيان يُتردم شعور غيره؛ لأن "الشاعر مدفوع للإبداع بحاجة ملحّة ملازمة له للكشف عن سر كيانه الداخلي" (العشي: ٢٠٠٩م، ٢٦).

ويقف البحث على المشاعر السلبية إما التي تتمثل في الضغوطات المادية كالفقر أو الضغوطات النفسية، أو المؤثرات الجسمية كالمرض، أو التعجب السلبي.

١) الخوف

إنّ الخوف شعورٌ يتحكم فيه الجهاز السمبتاوي باعتباره المسؤول عن الحالات الانفعالية، ويصحب ذلك تغييرات إما ارتفاع ضغط الدم أو ارتفاع سكر الدم، أو زيادة ضربات القلب. (عكاشة، د.ت،١٨١).

يُعد لقاء الأحبة من المشاعر المحببة للشخص، وعند اللقاء يُبدأ بالسلام والتحيّة، إلا أن خصوصية العلاقة بين المعشوقَين وخوفهما من الأهل والعواذل؛ يكتفيان بالإشارة

صوّر هذا اللقاء عمر بن أبي ربيعة في حديثه عن تحية محبوبته الخائفة (١٩٩٧م، ٢٥٣):

أشارت بطرف العين خشية أهلها إشارة محزون ولم تتكلـــــــمِ

فأيقنت أنّ الطرف قد قال مرحبًا وأهلًا وسهلًا بالحبيبِ المتيمِ

وضّح عمر بن أبي ربيعة سلام النظر من محبوبته؛ حتى لا يُلاحظ أهلها فكانت التحية بالعين، فالعين " هي رائد النفس الصادق ودليلها الهادئ ومرآتها المجلوة التي تقف على الحقائق وتميز الصفات، وتفهم المحسوسات" (ابن حزم، د.ت، ٢٩).

ونلحظُ في أن إشارة العين في البيت السابق؛ لإلقاء التحيّة دون أن يتنبه الأهل لها أو العواذل للقائها مع محبوبها، فترجمت إشارة العين عبارة إلقاء التحيّة وجاء الخوف بلفظ (خشية) وهي هنا مفعول لأجله، وضح الشاعر سبب إشارة العين. والخشية "خوفٌ يشوبه تعظيمٌ" (الأصفهاني، ١٤١٢هـ، ١٤٩).

و إنْ ذكرنا الخوف وعلاقته بلغة الجسد و العين تحديدًا لابد أن نذكر خوف جميل بثينة[٢] من التحديق، فيجعل النظرة السريعة وسيلة تخاطب؛ خوفًا من كلام الناس، فهو يقول (١٩٩٨م، ص٦٥):

ولا خاطبتْها مُقلتاي بنظرةٍ فتعلمُ نجْوانا العيون النواظرُ

ولكن جعلتُ اللحظَ بيني وبينها رسولًا فأدى ما تَجُن الضمائرُ

وقد وضّح الشاعر استخدامه نظرة اللحظ لا التحديق، فاللحظ "النظرة من جانب الأذن" (رضا، ١٩٥٩م، ١٥٩).

فنفى جميل بثينة أن تكون نظرته طويلة؛ خوفًا من انتباه الناس وعيونها لهم.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الشاعر قد اعتمد على البحر الطويل التام في وصف لغة جسده غير اللفظية؛ لأن اللحظ تُعد نظرة جانبية طويلة فهُنا تحكم السياق النفسي به.

والغمزُ كذلك لغة المتحابين؛ خشية من الأهل والعواذل، يقول بهاء الدين زهير (١٩٦٤م، ص٦٦):

غمزُ الحواجب بيننا أحلى من القولِ الصريحِ

ونلاحظُ في بيت بهاء الدين أنّ البحر المجزوء يُناسب السياق السريع للغمز، فالغمز لغة سريعة تتناسب مع البحر المجزوء. فهنا التعبير جاء خفيفًا.

و الخوف الشعوري الذي تشعر فيه المحبوبة مثّلته ليلى الأخيلية عند لقائها لمحبوبها توبة بن الحميّر فقد كشفت عن وجهها؛ ليكون ذلك رمزًا على وجود خطر[٣]. يقول توبة (١٩٦٨م، ٣٠):

---

[٢] جميل بن معمر المُلقب جميل بثينة، هو جميل بن عبد الله بن مَعْمَر العُذْري القُضاعي، ويُكنّى أبا عمرو، ومن عشاق العرب المشهورين.

[٣] أهل ليلى الأخيلية كانوا شَكَوه إلى الوالي فأهدر دَمَهُ إنْ زارها، وكان إذا جاءها لبست برقعها عنه، فأنذروها وأنها إن أعلمته فعلوا بها وفعلوا، فلما زارها سفرت وكشفت عن وجهها، فشرد توبة بن الحُميّر هارباً.

وكنت إذا ما زرت ليلى تبرقعت فقد رابني منها الغداة سفورها

فنلحظُ في البيت السابق أنّ الخوف جعل ليلى تستعين بلغة جسدية وهي كشف الوجه على غير عادتها مع توبة فهي تتبرقع أثناء اللقاء. والبرقع "برقع المرأة ما تستر به وجهها" (أبو جيب، ١٤٠٨هـ، ٧٣)

والخوف كذلك يجعل الشاعر يشير بيده لمحبوبته عن بعد؛ خوفًا من رؤيتهما، كقوله:

ولقد قُلت للمليحة قولي من بعيد لمن يحبّك: شارة قبلة

فأشارت بمعصمٍ ثم قالت من بعيد خلاف قَولي: إشارة لا لا

إذن في البيت السابق لعبت اليد دورًا تواصليًّا، فكانت الإشارة إلى الفم للتقبيل، وأيضًا إشارة الرفض وهي رفع اليد وتحريك الإصبع؛ للدلالة على الرفض.

وعبّر الشاعر بلغة الجسد بالبحور التامة عن ذلك الاتصال غير اللغوي؛ لأن ذلك يستدعي أن يطيل في حكايته وإخباره للناس.

يظهر جليًّا مما سبق استخدام الشعراء للغة الجسد؛ خوفًا من العواذل والأهل، فقد أدرك الشعراء هذا فكانت لغة الجسد غير اللفظية كافية تامة فيتابعها في بعض الأحيان بالحكاية والتفصيل؛ لإيصال المعلومة خاصة في قضايا العشق.

وأدرك الشعراء خطورة العاذل والوشاة؛ لهدم علاقة المتحابين ومن المتعارف عليه العاشق لا يخشى من شيءٍ إلا أن يؤدي ذلك إلى انقطاع العلاقة، يقول ابن نباتة في هذا الصدد (د.ت، ٣٩٧): **ماذا على العذَّال من عقل الفتى في هذه الأشواق أو في جهله**

ومن الأمور الشائعة في تأثير الخوف على صوت ولسان الشخص؛ لأن ذلك يؤدي إلى ارتجاف العضلات وارتعاشها، ومن هنا يرتجف الصوت ويصبح أجشًا. (داروين:٢٠٠٥، ١٧٩).

وقد حضرت حركة العين بكثرة؛ لأن وظيفة العين ونظراتها المتبادلة بين المتحابين جزءٌ من العملية التواصليّة.

٢) **المرض:** إنّ المرضَ نتيجة عن الأثر السلبي "هو الفشل والاضطراب في عمليات النمو والتطور، وأداء الوظائف، والتكيف سواء بالنسبة للجسم ككل، أو لأي من أعضائه وأجهزته" (أيوب:١٩٨٥، ٤٢). ويؤثر المرض على الجسد سواء أكان كاملًا أم كان بجزءٍ منه، ومن أبرز الأبيات التي صوّرت الجسد المريض:

تقول سُليمى: ما لجسمك شاحبًا كأنك يحميك الشّرابَ طبيب

ففي البيت السابق تتعجب سُليمى من الجسد المريض الذي أنتج الشحوب.

ويأتي ذو الرمة يصف الفراق بالمريض الذي اقترب من الموت، فهو يقول (١٩٨٢، ١٠٠١/٢):

أني غداة الزرق يا مي مدنف ... يكيد بنفس قد أجم حمامها

المُدنف اسم فاعل رباعي، وهو المريض. فهنا لغة جسد إيحائية مُستعارة ليست صريحة، وهذا إنْ دلَّ فقد يدلُّ على أنَّ العملية المجازية من تعريض وكناية و تشبيه، تندرج تحت الإيحاء، والإيحاء مجال

الانفعالات النفسية والتأثير الداخلي والخارجي على المتلقي (جمعي، ١٩٩٩م، ٥٣٧). ولا شكَّ أنَّ الجسد وألفاظه يتجاوزان البعد البيولوجي إلى البعد الاستعاري؛ لأنَّ الاستعارات هي "لغة الانفعال والوجدان، وليست لغة الأفكار الخالصة" (الصماوي، ١٩٧٩، ٣٠٩).

٣) **الفقر:** يُؤثر الفقر على الشخص بشكلٍ سلبي؛ لما يحمله من ذلٍ ونقصان. فالشاعر الفقير في بعض الأحيان يختار البعد ولغة المشي والسير؛ لرفع مكانته الاجتماعية بين القوم. يقول عروة بن الورد:

دعيني للغنى أسعى فإني رأيت الناس شرُهمُ الفقير

يتضح من البيت السابق اختيار عروة للغة السعي والسير؛ "للبحث عن الرزق والعمل بشتى الطرق والمخاطرة بالنفس"(مهنّا، ٢٠٠٧م، ١١٣).

٤) **التعجب:**

التعجب سلوكٌ انفعالي يقوم به الشخص نتيجة مؤثِّر ما، وقد يصل إلى الدهشة والدهشة: "إفراط في التعجب" (ديكارت، ١٤١٣هـ، ٥٢).

ومن أبرز سلوكيات التعجُب (ضرب الوجه أي صكه) كقول نعيم بن الحارث[4]:

تقول -وصكت وجهها بيمينها- أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

و (صك الوجه) يحمل دلالة تعجبية بفعل مؤثراتٍ ومنبّهاتٍ، كما جاء في قول يونس عن ابن إسحاق: "قال: حدَّثني والدي إسحاق بن يسار: لما افتتح رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم حصن ابن أبي الحقيق أُتي بصفية ابنة حيي ومعها ابنة عم لها جاء بها بلال، فمرَّ بهما على قتلى من قتلى يهود، فلمَّا رأتهم التي مع صفية صكت وجهها، وصاحت وحثت التراب على رأسها" (ابن إسحاق،١٩٨٧م،٢٦٤.) ، فالمنبه لسلوك الضرب رؤيتها العدد الكبير من القتلى اليهود.

ونلاحظ مما سبق أنّ صك الوجه فعلٌ شائعٌ بين النساء، فالزوجة تعجبت من زوجها كما تعجبت التي مع صفية من عدد القتلى.

وبعد عرض البيانات السابقة التي تندرج تحت الأثر النفسي السلبي على إنتاج لغة الجسد، يمكننا تحليلها على النحو الآتي:

لغة الجسد	نوعها	العضو المسؤول	العضو المُشارك	التحليل
ولكن جعلتُ اللحظَ بيني- (اللحظ)	صريحة	العين	لا يوجد	استخدام اللحظ – النظر السريع؛ بسبب الخوف.
غمزُ الحواجب بيننا - (الغمز)	صريحة	الحاجب	لا يوجد	رفع الحاجب؛ بسبب الخوف.
فقد رابني منها الغداة سفورها- (كشف الوجه)	صريحة	الوجه	اليد	تعاضدت اليد مع الوجه؛ لكشف الغطاء تحذيرًا لتوبة بن الحميّر.

[4] كان الشاعر قد عقد له النكاح على امرأة لم يدخل بها بعد، فمرت به في نسوة وهو يطحن بالرحى لضيف نزلوا به، فقالت: أبعلي هذا! تعجبا واحتقارا له، فقال الأبيات. والمتقاعس: الذي يخرج صدره ويدخل ظهره، وذلك شكل من يطحن بالرحى."

إشارة قبلة	صريحة	اليد	الفم	جاءت اليد؛ للإشارة إلى الفم توضيحًا لطلب القبلة بشكل خفي
إشارة لا لا	صريحة	الإصبع	لا يوجد	الإشارة من بعيد بالرفض، وذلك بواسطة الإصبع.
تقول سُليمى: ما لجسمك شاحبًا – (شحوب الوجه)	صريحة	الوجه	لا يوجد	تغير لون الوجه بسبب المرض.
أتي غداة الزرق يا مي مدنف	إيحائية	الجسد كاملًا	لا يوجد	شبه الشاعر فراقه لمحبوبته بالمريض الذي قَرُبت منيته.
دعيني للغنى أسعى	صريحة	الأرجل	الجسد كاملًا	لغة السعي الأرجل إلا أن الجسد كله يتعاضد؛ للعمل فاليد تعمل و العقل يفكر و هكذا..
تقول -وصكت وجهها بيمينها-	صريحة	اليد	الوجه	سلوك الصك – الضرب؛ للدلالة على التعجب

المطلب الثاني: أثر السياق النفسي الإيجابي على إنتاج لغة الجسد "نماذج تطبيقية":

يُقدم هذا المطلب أثر السياق النفسي الإيجابي في إنتاج لغة الجسد لمختارات شعريّة محددة، ويمكننا ذكرها على النحو الآتي:

١) إظهار القوة والقدرة على المواجهة:

ذكرنا في صفحةٍ سابقة أنّ المرأة قد تتخذ سلوك الضرب للتعجب، ويمكنها استخدامها في إظهار القوة فالضرب يكون إراديًّا هُنا، فلعلنا نقف هنا على ضرب النحر أي الصدرالذي تحت سلوكيات خاصة بالمرأة، فهاهو المهلهل بن ربيعة يصف ردة فعل ابنة المجلجل بقوله (د.ت، ٥٨):

ضربت نحرها إليّ وقالت ياعديًّا لقد وقتك الأواقي

فقد كان سلوك الضرب نتيجة عن منبه وهو رفضه لها فقد قال بداية:

فاذهبي ما إليك غير بعيدٍ لا يؤاتي العناقَ مَن في الوثاقِ

وضرب النحر هنا إيجابيًّا؛ دلالة على قوة ابنة المجلجل.

٢) الفرح:

إنّ الفرح من المشاعر الإيجابية المحببة للشخص، ويلعب دورًا مهمًا في إنتاج لغات الجسد والتعبير عن الشعور الجميل.

ومن أبرز اللحظات التي تستدعي الفرح هي قدوم الضيف و القيام على إكرامه، كقول مُرَّةُ بْنُ مَحْكانَ التَّمِيمِيُّ:[٥] (ابن قتيبة، ١٤٢٣هـ، ٢/ ٦٧٥)

يا ربَّة البيت قومي غير صاغرةٍ ضمّي إليك رحال القوم والقِربا

ففي البيت السابق يتحدث الشاعر عن فرحه باستقبال الضيوف، فطلب من زوجته أن تكون المرأة القائمة الحاضرة والواقفة للخدمة ودون ذل وإهانة فهي (غير صاغرة)؛ وهذه ثقافة عربية قديمة أنَّ ربَّةَ المنزل تخدمُ القوم، ووقوفُ المرأةِ لخدمةِ الضيفِ؛ يأتي "انطلاقًا من ماضيها القديم، كمسؤولة عن المؤونة" (ويلر،٢٠٠٢، ٤٣). كما طلب منها أن تضم القِرب والمؤونة فاستخدام الضم يكون باليد الذي لعبت دورًا تواصليًّا مهمًا.

والفرح هو الذي يجعل لغة الجسد تترجم الشعور، فقد صوّر رؤبة صاحب ليلى الأخيلية هذا الشعور عند وصفه لشعوره بتسليم ليلى الأخيلية عليه حتى وإنْ كان ميتًا.

فهو يقول:

ولو أن ليلى الأخيلية سلّمت عليّ ودوني جندل وصفائح

لسلّمت تسليم البشاشة أو زقا إليها صدى من جانب القبر صائح

فردة الفعل على فرحه هي رد التحية ببشاشة، وابتسامة حتى وإنْ كان ميتًا فهو يفرح بتسليمها.

والمنتخل الهُذلي يقول (١٩٦٥م، ٢٢/٢):

سأبْدَؤهمْ بمَشْمَعةٍ وأَثْنِي بجُهْدِي مِن طَعامٍ أو بِساطِ

و المُشامعة هي الممازحة والضحك، يقول الزمخشري (١٩٩٨،٥٥٢/): "فتاة شموع :مزاحة".

٣) **الافتخار:** إنّ الافتخار سلوكٌ إيجابي؛ شرطًا ألا يصل إلى الغرور والتكبرِ، ومن ذلك افتخار عنترة بن شداد بقوته فهو يستخدم الابتسامة أثناء الحرب يقول: (التبريزي:١٤١٢هـ، ٨٨):

ما عبست حومة الهيجاء وجه فتى إلا ووجهي إليها باسمٌ طَلِقُ.

وبعد عرض البيانات السابقة التي تندرج تحت الأثر النفسي الإيجابي على إنتاج لغة الجسد، يمكننا تحليلها على النحو الآتي:

---

[٥] شاعرٌ سعدي تميمي كان يُكنى بأبي الأضياف، ينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٣هـ) ٢/ ٦٧٥، الأصفهاني، شرح ديوان الحماسة، تحقيق: غريد الشيخ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م) ٤١٧.

- ومما سبق يتضح أنّ الأثر النفسي هو المتحكم في الشعراء أثناء الوقوف على أي رمز جسدي؛ "لأن الرمز مرتبط ارتباطًا مباشرًا بالتجربة الشعورية التي يعانيها الشاعر، والتي تمنح الأشياء مغزى خاصًا" (إسماعيل: ١٩٨٧م، ٦٩). وتظهر اللغة الجسدية الإيحائية في بعض الأحيان؛ لأنها قد تكون أكثر قدرة على التشبيه وقائمة على التفاعل والادعاء عند الأخرين. (الملجمي: ٢٠١٥م، ٣٢٣).

كما نلاحظ عند تناول الأبيات السابقة أن لغات الجسد أكثرها تتفاعل معها المرأة؛ لأن المرأة لها

لغة الجسد	نوعها	العضو المسؤول	العضو المُشارك	التحليل
ضربت نحرها إليّ	صريحة	اليد	النحر	الضرب على النحر؛ للدلالة على إظهار القوة.
يا ربَّة البيت قومي غير صاغرةٍ	صريحة	الأرجل	الجسد كاملًا	القيام بإكرام الضيف وذلك بالجسد كاملًا، وهذا سلوك اجتماعي..
لسلّمت تسليم البشاشة	صريحة	اليد	الوجه	تعاضدت اليد مع الوجه؛ للتسليم ورفع اليد أثناء السلام و ذلك بابتسامة أي: وجه مبتسمًا.
سأبْدَؤهمْ بمَشْمَعةٍ وأثْنِي	صريحة	الوجه	لا يوجد	فرح الشاعر فهو يقابل قومه بضحك و مرح.
إلا ووجهي إليها باسمٌ طَلِقُ.	صريحة	الوجه	لايوجد	الابتسامة عند عنترة سلوكٌ ينتج عن قوته في الحرب.

وضعيات جسدية مختلفة بعكس الرجل، فهي تلجأ للتمايل في المشي أو الغمز وغيرها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن شدة الاتصال بين لغة الجسد والسياق النفسي حقيقة ثابتة لا يمكن فصلها وتظهر هذه الحقيقة في تعريف لغة الجسد الذي يقول (عودة: ٢٠٠٤م، ١٩): "الحوار النفسي الذي يجري بين الأطراف المعنية والمعاني المتنقلة بينهم لا من خلال النطق".

****

الخاتمة

قدمت الورقة أثر السياق النفسي في إنتاج لغة الجسد، وذلك بتطبيقها على مختارات شعرية معينة، ولكي تكتمل الصورة العلمية جاءت النتائج على النحو الآتي:

- يُعد السياق النفسي أساسٌ في إنتاج لغة الجسد.
- حضرت حركة العين بكثرة؛ لأن وظيفة العين ونظراتها المتبادلة بين المتحابين جزءٌ من العملية التواصليّة.
- الأثر النفسي هو المتحكم في الشعراء أثناء الوقوف على أي رمزٍ جسدي.
- جاءت الأبيات الشعرية بلغة جسد صريحة أو إيحائية، فالتصريح يتناسب مع المشاعر الإيجابية لأن المواقف الإيجابية تستدعي التصريح لا الإيحاء.
- إنّ الإيحاء بلغة الجسد يُمثل اللحمة الواضحة بين الشاعر والسياق النفسي.
- سلوك الضرب عند المرأة جاء بسياقين إما بالتعجب السلبي كالذي ظهر في ضرب الوجه، أو ضرب النحر فقد لعب دورًا إيجابيًّا؛ لإظهار القوة والقدرة على المواجهة.
- تأتي بعض اللغات الجسدية في الأبيات المذكورة؛ نتيجة للسلوكيات الاجتماعية نحو: ضرب المرأة لنحرها، أو وقوفها راضية؛ لإكرام الضيف.

والحمدلله رب العالمين، فكانت هذه دراسة عامة قد تفيد و لو بالنزر اليسير.

المراجع:

- ابن حزم (د.ت)، طوق الحمامة بين الألفة والألاف، دمشق: مكتبة عرفة.
- ابن قتيبة (١٤٢٣هـ)، الشعر والشعراء، القاهرة: دار الحديث.
- الأخيلية، ليلى (د.ت) ديوان ليلى الأخيلية، تحقيق: خليل إبراهيم العطية، العراق: وزارة الثقافة والإرشاد.
- الأصفهاني، (٢٠٠٣م) شرح ديوان الحماسة، تحقيق: غريد الشيخ ، بيروت: دار الكتب العلمية
- بن معمر، جميل (١٩٨٢) ديوان جميل بثينة، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.
- التبريزي، الخطيب (١٤١٢هـ)، شرح ديوان عنترة، بيروت: دار الكتاب العربي.
- توبة بن الحمير (١٩٦٨م)، ديوان توبة بن الحمير، تحقيق: خليل إبراهيم العطية، بغداد: مطبعة الإرشاد.
- تومي، غنية (٢٠١٠م)، السياق اللغوي في الدرس الحديث، الجزائر، مجلة المخبر
- حنون، مبارك (١٩٨٨م) السيميائيات بين التوحد والتعدد، المغرب: الحوار الأكاديمي الجامعي
- داروين، تشارلس (٢٠٠٥م) التعبير عن الانفعالات في الإنسان والحيوان، ترجمة: مجدي المليجي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- ذو الرمة، غيلان بن عقبة العدوي (د.ت)، ديوان ذي الرُّمّة، المحقق: عبد القدوس أبو صالح، جدة: مؤسسة الإيمان.
- الزمخشري، محمود (١٩٩٨م) أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية.
- زهير، بهاء الدين (١٩٦٤م)، ديوانه، بيروت: دار صادر.
- سباعي، خلود (٢٠١١م) الجسد الأنثوي وهيئة الجندر، لبنان: جداول.
- سعد، فاروق (١٩٩٧م)، غراميات عمر بن أبي ربيعة في أخباره و شعره، بيروت: دار الأفاق الجديدة.
- سعدي أبو جيب (١٤٠٨هـ)، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، دمشق: دار الفكر.
- الشعراء الهذليون (١٩٦٥م)، ديوان الهذليين، ترتيب وتعليق: محمّد محمود الشنقيطي، القاهرة: الدار القوميّة.
- الصماوي، أحمد عبد السيّد (١٩٩٧م) فن الاستعارة، الاسكندرية: دار بورسعيد.
- العشي، عبدالله (٢٠٠٩م)، أسئلة شعرية- بحث في آليات الإبداع الشعري، الجزائر: منشورا الاختلاف.
- عكاشة، أحمد و طارق (د.ت)، علم النفس الفسيولوجي، القاهرة: مكتبة الأنجلو.
- عودة، عبد الله (٢٠٠٤م)، الاتصال الصامت و عمقه التأثيري في الآخرين: في ضوء القرآن و السنة، القاهرة: مجلة المسلم المعاصر. عدد ١١.
- القرشي، محمد بن أبي الخطاب (د.ت) جمهرة أشعار العرب، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- مايكل(٢٠١٤م)سيكولوجية الأسرة "الرجل، المرأة، تربية الأبناء" الإسكندرية: مكتبة شباب الجامعة.
- الملجمي، علوي (٢٠١٥م) الاستعارة و علاقة الإنسان بالبيئة في ضوء النظرية التفاعلية، مكة المكرمة: مجلة مجمع اللغة العربية، العدد ٩.
- المهلهل بن ربيعة (د.ت)، ديوان المهلهل بن ربيعة، تعليق و شرح: طلال حرب، بيروت: الدار العالمية.
- ويلر،آلين (٢٠٠٢م) الرجل و المرأة أسرار لم تُنشر بعد، ترجمة: فادية عبدوش و عبير منذر، بيروت: دار الفراشة.